مجلة الشهاب ● المجلد: 10، العدد: 01 (2024م) ● ص ص 81 - 104
(ISSN: 2477-9954, EISSN: 2602-5485)
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/391

التماسك النصي في سورة "الغاشية"

The Textual Cohesion in Al Ghashiyah

د/ علي زيتونة مسعود *
مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده، جامعة الوادي (الجزائر)
ali-zitouna@univ-eloued.dz

تاريخ الاستلام: 2023/09/09 | تاريخ القبول: 2023/12/11 | تاريخ النشر: 2024/03/15

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

ملخص: تتميّز سُوَرُ القرآن الكريم ـ عموما ـ بالتّماسُك النّصّي؛ فرَغْمَ اخْتلافِ موضوعاتِها وتشعُّبِها، إلاّ أنّها متلاحمة الآيات، متماسكة الأجزاء، بعيدة عن التّفكّك...

يسعى هذا البحث إلى الكشْف عن آليات التماسك النّصي في سورة (الغاشية) من خلال تحليلها تحليلا نصّيًّا. وقد تجلّتْ هذه الآليات في: العنوان والموضوع، السؤال والجواب، الإجمال والتفصيل، بنية الضّدّ، التكرار، الإحالة.

الكلمات المفتاحية: التماسك النصي؛ القرآن الكريم؛ الغاشية.

Abstract: The Surahs of the Holy Quran are generally distinguished by the textual cohesion. Despite their diverse and forked themes, they are of interwoven verses, cohesive segments, and far from the disintegration.

The current paper seeks to unveil the means of the textual cohesion in Al Ghashiyah Surah through a textual analysis. These means are evident in: the title and theme, the Question and answer, the macro and micro details, the structure of contrast, the repetition, the reference.

Keywords: Textual cohesion, Holy Quran, Al Ghashiyah.

1. مقدمة

(لسانيات النّص) أو (علم اللغة النّصي) أو (علم النص)، كلّها مصطلحات لعِلم واحدٍ حديث تَفرّع بمبادئه ومصطلحاته عن اللسانيات، يهتمّ بالنّص باعتباره البنية الكبرى للتحليل اللغوي، بعد أنْ كانت اللسانيات تهتمّ بالجملة. ولعلّ البداية بالبُعد النّصي كانتْ بـدِي سوسير الذي أشار إلى أنّ الإنسان لا يعبّر بكلمات منفصلة أو جمل مفكّكة، إنّما يُعبّر بنصوص متشابكة بعلاقاتٍ من الجمل والكلمات، تُكوّن معنى واضحا وتامًّا يقوم عليه التواصل.

وبناء على ذلك، دعا العلماء إلى ضرورة التأسيس لِلِسَانياتٍ تهتمّ بالنص، لا بالجملة، أمثال اللغوي الدانماكي لويس هلمسليف، وميخائيل بختين، وجاكبسون وغيرهم. وقد وَجدَتْ هذه الدّعوات طريقَها إلى

* المؤلف المراسل.

التّطبيق مع هاريس، حين نشَر في بداية النّصف الثاني من القرن العشرين لدراستين هامّتين بعنوان (تحليل الخطاب)، حلّل فيهما بعض النصوص، إلى أنْ عرفتْ الدراسات النّصيّة مزيدا من التطوّر والضبط المنهجي، خاصة على يد فان دايك الذي رأى فيه بعضُ اللغويين المؤسّس الحقيقي للسانيات النص في كتابه (بعض مظاهر نحو النص) الذي ضمّنه أفكاره وتصوّراته لمبادئ هذا العلم[1]. ومن ثمّ جاءت فكرةُ التّماسك النّصي.

ومن جهة أخرى، فالقرآنُ الكريم أساس اللغة العربيّة، فقدْ شدّت لغتُه وبلاغتُه وإعجازُه أنظارَ العلماء بمختلف اتّجاهاتهم. منها ما ذكروه إلى أنّه من شدّة تماسُك نصِّه، وترابُطِ آياته وأجزائه، عُدَّ كالكلمة الواحدة.

ومنه، يُمكن طرح التّساؤلات الآتية:

هل وظّفتْ سورة «الغاشية» آليات التّماسك النّصي؟ وما هي هذه الآليات التي وظّفتها؟ وهل وردتْ متنوّعة؟ وما دورها في تماسُكِ السورة، وترابُطِ آياتِها وأجزائها؟ وهل حقّق هذا التُّماسك أغراض سورة «الغاشية»؟

فالبحث يريد أنْ يستكشف أهمَّ آليات التماسك النصي في سورة «الغاشية»، باعتبارها نموذجا قرآنيّا يُعطينا صورةً عامة عن بقيّة السّور. وأنْ يبيّن أنواع هذه الآليات النّصيّة، وذلك للوصول إلى الدلالة العامة والتّامة في السورة، بعد ربْط الدّلالات الجزئيّة للآيات، وتبيين دور هذه الآليات في الوصول إلى هذه الدلالة، باعتبار أنّ لكلّ سورة في القرآن الكريم غايةً تريد الوصول إليها.

ومنه تكمن أهميّة الموضوع في أنّ مدوّنته القرآن الكريم من جهة، وفي تقديم الآليات التي يمكن من خلالها الوصول إلى الدّلالة الكاملة لسورة «الغاشية»، لا الآيات المنفصلة، من جهة أخرى، والجمع ـ بالتالي ـ بين الأفكار اللسانية الحديثة، وما ورد في التراث العربي، لعلّنا في كلّ هذا، نستكشف بعضَ ما تختصّ به لغة القرآن الكريم.

ولأجل تحقيق هذا الهدف، كانت خطّة البحث كما يلي:

1. مقدمة.
2. تعريف التماسك النصي لغة واصطلاحا.
3. التّماسك النّصي في الدّراسات القرآنيّة في التراث العربي.
4. آليات التّماسك النّصي في سورة «الغاشية»:
   1.4 تقديم سورة «الغاشية».
   2.4 اسم السّورة (عنوانها) وموضوعها.

[1]. ينظر: محمد الأخضر الصبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص60.

3.4 بنية الضّد.

4.4 بين السؤال والجواب والإجمال والتفصيل.

5.4 التكرار.

6.4 الإحالة.

5. خاتمة.

2. تعريف التماسك النصي:

1.2. لغة:

التّماسك مصدر (تمَاسَك، يتماسك) التي أصلها (مَسَك)، وقد وَرَد فيها: الْمَسَكَةُ مِنَ الْبِئْرِ: الْمَكَانُ الصّلْبُ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى طَيٍّ، لِأَنَّهُ مُتَمَاسِكٌ. وَالْمَسْكُ: الْإِهَابُ، لِأَنَّهُ يُمْسَكُ فِيهِ الشَّيْءُ إِذَا جُعِلَ سِقَاءً[1]. وفلان يتفكّك ولا يتماسك[2]. ودَواءٌ مُمَسَّكٌ: خُلِطَ به[3]. والمُسْكُ والمُسْكةُ: مَا يُمْسِكُ الأَبدانَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، المَاسِكة الْجِلْدَةُ الَّتِي تَكُونُ عَلَى رأْس الْوَلَدِ وَعَلَى أَطْرَافِ يَدَيْهِ، وَبَلَغَ مَسَكة الْبِئْرِ ومُسْكَتَها إِذَا حَفَرَ فَبَلَغَ مَكَانًا صُلْباً. وَأَرْضٌ مَسِيكة: لَا تُنَشِّفُ الماءَ لِصَلَابَتِهَا[4]. وَيُقَال مَا تماسك أَنْ قَالَ كَذَا مَا ضبط نَفسه وَمَا تمالك، و"التماسك" ترابط أَجزَاء الشَّيْء حسيا أَو معنويا وَمِنْه التّماسك الاجتماعي أيْ ترابط أَجزَاء الْمُجْتَمع الْوَاحِد[5].

ومنه فالتّماسك لغة يحمل معاني القوّة والصّلابة والرّبط والخلْط والتّلاحم والضّبط وعدم التّفكّك. وإذا أضفنا إليه كلمة النّص، يصبح مصطلحا نصيّا حديثا، هو "التّماسك النصي"، الذي يقابله في اللغة الانجليزية (cohésion) أو (cohérence)، مع اختلافات واضحة في الترجمة بين الباحثين.

2.2. اصطلاحا:

تعدّدت تعريفاتُ التّماسك النصي واختلفتْ، ومن هذه التعريفات:

• عرّفه صبحي إبراهيم الفقي بقوله: "يعني العلاقات أو الأدوات الشّكليّة والدّلاليّة التي تُسهم في الرّبط بين عناصر النّص الدّاخليّة، وبين النّص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى"[6].

• وعرّفته عزة شبل بقوْلها: "هو الكيفيّة التي تمكّن القارئ من إدراك تدفّق المعنى الناتج عن تنظيم

---

[1]. ينظر: أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، 5 / 320.

[2]. ينظر: الزمخشري، أساس البلاغة، مادة (مسك)، 213/2.

[3]. ينظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص953.

[4]. ابن المنظور، لسان العرب، 10/ 488 وما بعدها.

[5]. إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، 2/ 869.

[6]. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النص النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية،96/1.

النص، ومعها يصبح النص وحدة اتصاليّة متجانسة"[1].

• أمّا أحمد عفيفي، فقد عرّفه بقوله: "هو علاقة معنويّة بين عنصر في النّص، وعنصر آخر يكون ضروريًّا لتفسير النّص الذي يحمل مجموعة من الحقائق المتتالية"[2].

وهي تعريفات تتناسب مع المعنى اللغوي، وتتّفق في أنّ التّماسك النّصي هو وحدة النّص وتنظيمه وعلاقة أجزائِه بعضها ببعض. فالنّص تُكَوّنه شبكةُ علاقاتٍ تَربط أجزاءَه، وتُسهم في وضوحه، وتجعله ـ بالتالي ـ نصًّا، وبدونها يفْقِد هذه الصّفة، واللغة ـ أصلا ـ نظام من العلاقات، والكلام لا يكون" مفيدا إذا كان مجتمعا بعضه مع البعض الآخر دون ترابط"[3].

والتّماسك النّصي مصطلح ـ كما سبق ـ حديث ارتبط ظهوره بظهور لسانيات النص، التي هي "ذلك الاتجاه اللّغويّ الذي يعنى بدراسة نسيج النص انتظاما واتّساقا وانسجاما، ويهتمّ بكيفيّة بناء النص وتركيبه. بمعنى أنّ لسانيات النّص تبحث عن الآليات اللغويّة والدّلاليّة التي تساهم في انبناء النص وتأويله"[4]. أو هي " العلم الذي يهتمّ ببنية النّصوص اللغويّة وكيفيّة جريانها في الاستعمال"[5]. ومن تسمياتها أيضا «علم اللغة النّصي»، «علم النّص»، «نحو النص» ...

فلسانيات النص ـ إذًا ـ هي فرع من فروع اللسانيات، موضوعُه التّماسك النّصّي ووسائل تحقيقه، ومن أهمّ القضايا التي تعالجها: أثر السياق في الملفوظات اللغويّة، الظواهر اللغويّة التي تكفل للنص ترابطه وانسجامه، أي العلاقات بين الجمل ...[6] لذلك هناك صلة وثيقة بين التّماسك النّصي واللّسانيات النّصيّة التي هي مبنيّة على فرضيات أساسيّة منها الطبيعة النّصيّة لممارساتنا الكلاميّة أو الخطابيّة، وأيضا شروطُها وقوامها التّرابط والاتّساق والانسجام، لأنّ النّص منتوج مترابط متّسق ومنسجم، وليس تتابعا عشوائيًّا لألفاظ وجمل وقضايا...[7].

وينقسم التّماسك إلى شكلي؛ يهتمّ بدراسة علاقات التّماسك الشّكليّة، بما يحقّق التّماسك الشّكلي للنّص. ودلالي يهتمّ بدراسة علاقات التّماسك الدّلاليّة بين أجزاء النّص من ناحية، وبين النّص والسّياقات المحيطة به من ناحية أخرى[8]. ولعلّنا نجمع القسمين؛ الشّكلي والدّلالي في مصطلحيْ الاتّساق والانسجام،

---

[1]. عزة شبل محمد، علم لغة النص (بين النظرية والتطبيق)، ص184.

[2]. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص98.

[3]. محمد عبد اللطيف حماسة، بناء الجملة العربية، ص87.

[4]. جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، ص7.

[5]. خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص167.

[6]. ينظر: محمد الأخضر صبيحي، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، ص59.

[7]. ينظر: خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص168.

[8].ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النص النظرية والتطبيق ،1 / 96.

وكلّ نوع له آلياته ووسائله المختلفة. والقسمان "يتضافران معا لتحقيق التّماسك الكلي للنّص"[1]، مضافا إليهما الاستعمال التداولي الذي يركّز على استعمال اللغة في التّواصل والتّبليغ، انطلاقا من المقام[2].

3. التماسك النصي في الدراسات القرآنيّة في التراث العربي:

إذا كان (لسانيات النّص) علما حديثا، ـ كما سبق ـ تَفرّع بمبادئه ومصطلحاته، فإنّ له جذورا وإشاراتٍ في التّراث العربي. فقدْ كان للعلماء العرب بمختلف توجّهاتهم، نظراتٌ وإسهاماتٌ معتبرة في مجال الدّراسات النّصيّة، تدلّ على تفطّنهم لفكْرة تماسك النّص، وارتباط أجزائه بعضها ببعض، ووعيْهم بها، بل استخدموا بعض مصطلحاته مثل: الاتّساق، التّعليق، البناء، التئام الأجزاء، الانسجام... نجد هذه النظرات والأفكار النّصيّة في مجال البحث اللغوي والبحث البلاغي، ومجال النقد الأدبي، وغيرها، نجدها عند الجاحظ(ت255ه)، والسكاكي(ت387ه)، وعبد القاهر الجرجاني (ت471ه)، وابن طباطبا (ت322ه)، وحازم القرطاجني وغيرهم[3].

من ذلك، فقدْ أدرك العلماء العرب والنّحاة أهميّةَ حروف العطف في تحقيق التماسك على مستوى الجملة، والجملتين، وعلى مستوى النص، وقدّموا نماذج كثيرة تثبت نظرتهم[4].

فقدْ أشار الجرجاني إلى أنّ الكلام يكون ذا نظم وترتيب عن طريق التّعليق، وهو إدراكٌ منه بتماسك النّص من خلال تعلّق بعضه ببعض، يقول: "أنْ لا نظْم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلّق بعضها ببعض، ويُبنى بعضُها على بعض، وتجعل هذه بسبب من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخْفى على أحد من النّاس"[5].

وفي مجال القرآن الكريم؛ تفسيره، وعلومه وإعجازه وبلاغته، قامت الدّراساتُ في التراث العربي بمجهودات جادّة تصبّ في صميم الدّراسة النّصيّة الحديثة. فقد تفطّن العلماء أمثال الزمخشري، وفخر الدين الرازي، والسيوطي وغيرهم إلى وسائل الربط بين أجزاء الكلام، وإلى العلاقات التي جعلت النّص القرآني؛ آياتٍ وسورا كلّا واحدا موحّدا. تحدّثوا عن العطف والإحالة كالضمائر والإشارة وعن التكرار، وموضوع الخطاب وتنظيمه وترتيبه والعلاقات كالتفسير والبيان، والإجمال والتّفصيل وغيرها[6]. وهي كثيرة ومتنوّعة لا يسع المقام لشرْحها. فقد تطرّق إليها الباحثون المحدثون، وفصّلوا فيها نظريّا وتطبيقيّا أمثال: صبحي إبراهيم الفقي في كتابه" علم اللغة النصي بين التنظير والتطبيق"، ومحمد العبد في دراسته "حبك

---

[1]. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النص النظرية والتطبيق ،98/1.

[2]. ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب. دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني، ص16.

[3]. ينظر: محمد الخطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص93. أشرف عبد البديع عبد الكريم، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم، ص 14.

[4]. علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق،253/1.

[5]. دلائل الإعجاز، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، ص45.

[6]. ينظر: محمد الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص 165.

النص من منظورات التراث العربي"، ومحمد خطابي في كتابه" لسانيات النص مدخل إلى انسجام النص"، وأشرف عبد البديع عبد الكريم في مؤلّفه "الدّرس النّحوي النّصي في كتب إعجاز القرآن الكريم"، وغيرهم.

وفي المجال التطبيقي، قام عبد الله دراز بتحليل مفصّل لسورة البقرة؛ فقسّمها إلى مقدّمة، وأربعة مقاصد، وخاتمة. وتحدّث عن كلّ قسم، مبيّنا روعة الانتقال من قسم إلى آخر، وكيف يتعانق الطرفان المقدمة والخاتمة، لتلتحما مع هذه الأقسام. واعتبر في الأخير ترتيب آي القرآن على هذا الوجه معجزة المعجزات[1]. وفي دراسة قام بها الحواس مسعودي، بيّن كيفية تركيب سورة (النمل)، وأنّ هيكلتَها اتّساقٌ عجيبٌ، لعِب القصْد الحجاجي وبنية السرد للحجج دورا كبيرا في إبراز هذا الاتّساق. فقد قسّم هيكلها العامّ إلى مقاطع متميّزة شكلا ومضمونا وهي: المقدّمة، والحجج الأولى والثانية والثالثة والرابعة، وأخيرا النتيجة.[2]

ولعلّ أهمّ مبحث تناولته الدّراسات القرآنيّة، له علاقة وثيقة بالتّماسك النّصي هو (المناسبة) أو (التّناسب)، والمقصود به ارتباطُ السّورِ فيما بينها من جهة، والآيات ضمن هذه السّور من جهة أخرى[3]، وبكيفيّة من التّماسك وتلاحم الأجزاء. ولعلّ أوّل من سبق إلى علم التناسب ـ كما يرى الباحثون ـ هو أبو بكر النيسابوري (ت324هـ)[4]. وقد ألّف في هذا العلم كثير من العلماء أمثال: ابن الزبير الغرناطي (ت708هـ)، وبرهان الدين البقاعي(ت885هـ)، وجلال الدين السّيوطي (ت911هـ) وغيرهم.

وللمناسبة فوائد كبيرة في سور القرآن الكريم؛ حيث يرى الزركشي (ت794هـ)، أنّ فائدة التناسب هي جعل أجزاء الكلام بعضها آخذا بأعناق بعض، فيقوى بذلك الارتباط، وتتلاءم الأجزاء. فأكثر لطائف القرآن مُودَعة في الترتيبات والروابط... فارْتِبَاطُ آيِ الْقُرْآنِ الكريم بَعْضِهَا بِبَعْضٍ حَتَّى تَكُونَ كَالْكَلِمَةِ الْوَاحِدَةِ مُتَّسِقَةَ الْمَعَانِي مُنْتَظِمَةَ الْمَبَانِي[5]. ما يكون له فائدة في تماسكه، وبلاغته وجمالياته وتجلية معانيه، وفهْم مراميه. فقدْ أجْمع العلماء على أنّ التناسب من أهَمّ عناصر الجمال، وأبرز شروط الفصاحة في التّعبير اللّغويّ وفي إعجاز القرآن الكريم[6].

ومن ثمّ، فالمناسبة آليّة من آليات التّماسك النّصي، ولها علاقة وثيقة به، تسْهم في تحقيق ترابط النّص وتماسكه، رغم أنّهم لم يصرّحوا بذلك، يقول صبحي الفقّي عن رأي العلماء في المناسبة:" أنّهم لم يشيروا إليها على أنّها وسيلة من وسائل التّماسك النصي... ولكنّنا هنا نضيف وسيلة المناسبة؛ إذ أنّها

[1]. ينظر: النبأ العظيم، عبد الله دراز، ص211.

[2]. ينظر: الحواس مسعودي، البنية الحجاجيّة في القرآن الكريم سورة النمل نموذجا، ص328.

[3]. ينظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص58.

[4]. السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، 1/ 43.

[5]. ينظر: البرهان في علوم القرآن، 1/ 36.

[6]. ينظر: أحمد أبو زيد، التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، ص 26.

تمثّل وسيلة من أهمّ وسائل التّماسك النّصي؛ شكليّا ودلاليّا"[1]. وبهذه العلاقة والصلة بين المناسبة والتماسك النّصي، وبهذه المجهودات الهامّة، قدّم مبحث المناسبة عند القدماء للدّرس النصّي منظومة علائقية التقى فيها الجزئي مع الكلّي والدّلالي الموضوعي مع الصّوتي الموسيقي، والتقوا جميعا مع البناء الشّكلي الخالص[2].

4. آليات التماسك في سورة "الغاشية":

1.4. تقديم سورة «الغاشية»:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ ﴿هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ(1) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(2)عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(5)لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ(6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ(7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8)لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(9)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(10)لَا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً(11)فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ(12)فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14)وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)أَفَلا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18)وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(19)وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20) فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(24)إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)﴾.

2.4. اسمُ السورة (عنوانها) وموضوعُها:

يُعرّف العنوانُ على أنّه" مجموع العلامات اللسانيّة (كلمات، جمل...) التي يمكن أنْ تدرج على رأس كلّ نصّ لتحدّده وتدلّ على محتواه العام، وتغري الجمهور المقصود"[3]. وهو تعريف يبيّن أن العنوان علامة لسانيّة موجزة تكون على رأس النّص، وتعبّر عن معناه، بغرض إغراء قرّائِه.

ولا شكّ أنّ العنوان نقطةُ بدايةِ النّص، ومفتاحُه الأوّل الذي يواجهُه المتلقّي، ويلج من خلاله إليه. فهو نصّ مختزل يعبّر عنه، ويساهم في توضيح دلالاته وظلاله، والكشف عن معانيه ومقاصده. والعنوان من الوسائل الهامّة التي تُحقّق انسجام النص وتماسكه، لأنّه ـ كما سبق ـ يجمَع كلّ أجزاء النّص، ويلخّصها في كلمة أو كلمتين. لذلك فقدْ أولتْ له الدراسات الأدبية والنقديّة المعاصرة عناية واهتماما. ومنه يمكن أنْ نقول أنّ للعنوان أهميّةً في الكشف عن النصوص، وبالتالي فالعنوان هو النص، والنّص هو العنوان.

وفي القرآن الكريم هناك علاقةٌ متينة بين اسم السورة أو عنوانها، وموضوعها؛ فاسْم السورة يمثّل موضوعَها، وموضوعُها يشرح ويبْسط اسْمَها، ومن ثمّ فاسْم السورة لم يكن اعتباطا، إنّما هو تعبيرٌ عنها،

---

[1]. علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق، 2 / 93.

[2]. ينظر: محمد عبد الباسط، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، ص81.

[3]. محمد الهادي المطوي، شعرية عنوان (الساق على الساق فيما هو الفارياق)، ص455.

ومناسبٌ لها، "حتى أنّ أسماء السّور أعلام عليها"[1]. هذه الأسماء أو العناوين تُهيّء القارئ، لأنْ يُشكّل رؤاه وتفسيراته حول السّورة، وعادة يكون" في الخطاب مركز جذب يؤسّسه منطلقه وتحوم حوله بقيّة أجزائه"[2]، واسم السورة هو منطلقها الأوّل.

ومن جهة أخرى، فالسّورة القرآنيّة تدور حوْل فكرة رئيسة، ولها غاية واحدة؛ فإذا كان الغالب على السّور القرآنيّة القصيرة وحدة الموضوع، فإنّ الغالب على السّوَر الطويلة تعدّد الموضوعات، لكنها مترابطة، يجمعها محور واحد، أو جملة محاور متّصلة في النهاية برباط واحد[3]، ما يجْعلها متّصلةً متماسكة.

فالسّورة تبدأ من اسمها، أي عنوانها، فمقدمتها وبدايتها، وموضوعها ومضمونها، ثم خاتمتها ونهايتها... ولكلّ هذه الأقسام المكوّنة للسورة وظيفةٌ، أو مناسبة إمّا مع موضوع السورة، أو بين أوّلها وأخرها، أو بين اسمها ومضمونها[4].

و«الغاشية» ـ موضوع ورقتنا البحثيّة ـ سورَةٌ مكيّة آياتها سِتٌّ وَعِشْرُونَ، والغاشية هي الداهية التي تغشى الناس بشدائدها وتلبسهم أهوالها[5]، مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْغِشْيَانِ وَهُوَ تَغْطِيَةٌ مُتَمَكِّنَةٌ، سُمِّيَتْ غَاشِيَةٌ، لِأَنَّهَا إِذَا حَصَلَتْ لَمْ يَجِدِ النَّاسُ مَفَرًّا مِنْ أَهْوَالِهَا، فَكَأَنَّهَا تَغْشَى عَلَى عُقُولِهِمْ. وَيُطْلَقُ الْغِشْيَانُ عَلَى غَيْبُوبَةِ الْعَقْلِ[6]. وموضوع السورة هو يوم القيامة، وما يقع فيه من أهوال وأحزان، وانقسام الناس فريقين؛ أشقياء، وسعداء، وعقاب وثواب كلّ فريق، وحالتهم وطعامهم وشرابهم؛ ترهيبا وترغيبا. والتطرّق إلى الأشقياء الذين لم يهتدوا رغم مخلوقات الله الجليّة. وأمْر الرسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بألّا يهتمّ بهم، لأنّ الله سيجْمعهم يوم القيامة ويعاقبهم. موضوع السورة واحد، دار في فلَك القيامة، ولم يخرج إلى غيره.، ومعلوم "أنّ وحدة الموضوع من بين جوانب التّماسك في القرآن المكي"[7].

لذلك، فقدْ كان عنوانها (الغاشية)، وهو عنوان مناسبٌ لها، وموافق لموضوعها. وبقدْر مناسبة العنوان للخطاب، وموضوعه العام يتحقّق الفهْم، وتُأوّل الدّلالة بما يحقّق تماسك النص[8]. عن طريق العنوان تتجلّى جوانب أسّاسية أو مجموعة من الدّلالات المركّبة للنصّ، ما يجعلنا نسند للعنوان دور"

---

[1]. محمد الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص197.

[2]. المرجع نفسه، ص59.

[3]. ينظر: دراسات قرآنية، محمد قطب، ص 423.

[4]. علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 2 /105.

[5]. ينظر: الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، 741/4.

[6]. ينظر: التحرير والتنوير، 30/ 294.

[7]. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق، 125/1.

[8]. ينظر: نعمان بوقرة وآخرون، دراسات في علم اللغة النصي، ص54.

العنصر المرسوم سيميولوجيّا في النص"، بل ربما كان أشدّ العناصر وَسْما[1]. فنواة النص قد تكون فكرة يدور حولها ويشير إليها، وهذا كثير في نصوص القرآن الكريم. وهذه النواة قد تكون كلمة واحدة[2]. وهو ما نجده في سورة «الغاشية» التي كان أساسها كلمة واحدة، والمفتاح الذي دارت حوله، وهي «الغاشية»؛ فكلّ ما فيها يرتبط دلالة بكلمة «الغاشية». فاللفظة في التعبير القرآني تعبِّر عن معناها بكلّ دقّة، وتعبّر عن روح السورة العامّ، وتندمج مع سياقها وتتفاعل، وتتناسب مع غرضها. فالعلاقة بين المفردات والسياق البنائي علاقة حميمة، لأنّ المفردة لا يمكن أنْ تُشكّل وحدة مستقلة بنفسها عن النّسق البنائي للسورة التي وردت فيها[3]. ومن كلمة العنوان «الغاشية» تطوّرتْ السّورة إلى فكرة «الغاشية» وموضوعها.

ويمكن أنْ نقسّم البناء العام لسورة (الغاشية) كالآتي:

• **تمهيد (الآية الأولى)**: يمثّل الإجمال، والاستفهام في الآية الأولى، ﴿**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ (01)**﴾ مهّد من خلاله لموضوعه، وهو استفهام غرضه التّعجّب ممّا في حيزه والتّشويق إلى استماعه، والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقّها أنْ يتناقلها الرواة[4]،"ولإثارة الشّعور والاستعداد النفسي لموضوع الحديث"[5].

• **عرض (من الآية 2 إلى الآية 24)**: وفيه إجابة عن هذا الاستفهام وتفصيل لحديث الغاشية؛ إخبار عن يوم القيامة وأهواله وشدائده وانقسام الناس، وأحوالهم فيه، وعدم اهتداء المشركين رغم الدلائل الباهرة.

• **خاتمة (الآيتان الأخيرتان)**: وتمثّل خلاصةَ السورة وغايتها في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)**﴾، "وفيها تسلية للنبيّ، وللمكذّبين وعيدٌ شديد"[6].

"وهنا يُسدل الستار. مرحلة بدأتْ ثم انتهتْ. وبين البدء والنهاية صور ومشاهد تلتئم كلها برباط وثيق... إطار مهما كانت خيوطه فإنّه من وحدة واحدة"[7]. هو بناء مرتّب متماسك، أحداثُه متتالية، يؤدّي كلّ قسْم فيه إلى الذي يليه، ولا شكّ أنّ لترتيب الوقائع والأحداث في الخطاب أهميّة في انسجام الخطاب[8] وتماسكه ووُضُوح دلالاته، وهو ما نجده في كلّ السّور القرآنيّة؛" فالقرآن الكريم من شدّة تماسكه، عُدّ كالكلمة

---

[1]. ينظر: صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، ص218.

[2]. ينظر: علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق،168/1.

[3]. ينظر: فايز عارف القرعان، دراسة أسلوبية في النص القرآني، ص69.

[4]. ينظر: أبو الفداء إسماعيل بن مصطفى، روح البيان، 412/10.

[5]. عبد العظيم المطعي، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، 408/1

[6]. خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، 409/1

[7]. المرجع نفســه، 411/1

[8]. ينظر: محمد الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ص183.

الواحدة على الرّغم من أنّ كلّ سورة من سور القرآن ذات شخصيّة متفرّدة وذات ملامح متميّزة"[1].

وكما بدأتْ السورة بمخاطبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ والاستفهام عن الغاشية ﴿**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ(1)**﴾، أيْ يوم القيامة، فقدْ انتهتْ بمخاطبته ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وبالحديث عن هذا اليوم، ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ(22) إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ(23) فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ(24) إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ (25) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (26)**﴾ وهو يوم القيامة والْبَعْث، حين يرجعُونَ إِلَى اللَّهِ ويُجَازِيهِمْ عَلَى كفرهم وإعراضهم. والآيتان الأخيرتان تعقيب يتناسب ويتماسك مع السورة، لترتبط الآيات الأخيرة بالآية الأولى وما بعدها في السورة، ويكون ـ بالتالي ـ المخاطَبُ واحدًا، والموضوعُ واحدًا. وفي وحدةِ الموضوعِ ووحدة المخاطَبِ تماسكٌ دلاليٌّ للسورة.

3.4.بين السؤال والجواب، والإجمال والتفصيل:

افْتُتحت سورة (الغاشية) باستفهام موجز في آية واحد، ﴿**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ (1)**﴾، وهو اسْتِفْهَام عَنْ بُلُوغِ خَبَرِ الْغَاشِيَةِ، غرضه التَّشْوِيق إِلَى مَعْرِفَةِ هَذَا الْخَبَرِ والتّطلّع إليه، مُوحيًا بأَهَمِّيَّةِ الْخَبَر[2]. "ولا شكّ أنّ الأمور المستفهم عنها بطريق التشويق هي أمور هامّة وخطيرة"[3]. وبعده يأتي الجواب في السّورة كلّها؛ من بدايتها إلى نهايتها. وإذا كان التّمهيدُ وردَ سؤالا ـ كما سبق ـ، فإنّ العرضَ كلَّه إجابةٌ لهذا السؤال.

ومتأمّلُ السّورة يُدرك بوضوح أنّ علاقة العرض بالتمهيد القصير المثير هي علاقة الجواب بالسؤال، لأنّ الاستفهام يلزمه سؤال من النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ . فكأنّه قال: لا. لمْ يأتِني. فكان الجواب في السورة[4]. وكما هو معلوم أنّ بين السؤال والجواب علاقة وثيقة، فهُما متتاليات،" مرتبطان ببعضهما أشدّ الارتباط، ومن ثم يجيء الجواب عقيب السؤال بدون عطف لشدّة الارتباط بينهما"[5]. ومن ثمّ، فالسؤال والجواب وسيلة ربْط في النص. وقد بدأ ربط الجواب بالسؤال، وتعلّق صيغة أحدِهما بالآخر منذ الخليل، وتبلْوَرَ أكثر، لِتُصبح في شكْل أصول وقواعد عامة، مع سيبويه والسيرافي والمبرّد[6].

فالسورة كلُّها ـ إذًا ـ إجابةٌ وتفصيلٌ لما أجْمله السّؤال في الآية الأولى، فيُمثّل بالتالي "السّؤالُ والجوابُ" علاقةَ " الإجمال والتّفصيل". ففي افْتِتَاح الْكَلَامِ بِالِاسْتِفْهَامِ عَنْ حديث الغاشية، تَشْوِيقٌ بِطَرِيقَةِ الْإِجْمَالِ ثُمَّ التَّفْصِيلِ الْمُحَصِّلَةِ لِتَمَكُّنِ الْخَبَرِ الْآتِي بَعْدَهُ فِي نَفْسِ السَّامِعِ أكمل تمكّن[7]. و"الإجمال والتّفصيل"

---

[1]. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق، 1 /125.

[2]. ينظر: التحرير والتنوير،30/ 294.

[3]. عبد الله محمد هنداوي، مطابقة الجواب للسؤال في النظم القرآني، ص119.

[4]. عبد العظيم المطعي، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، 409/1

[5]. عبد الله محمد هنداوي، مطابقة الجواب للسؤال في النظم القرآني، ص119.

[6]. محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية تأسيس نحو النص، 806/2.

[7]. ينظر: التحرير والتنوير ،6/30.

علاقة قد أدْرجها علماء النّصيّة ضمن وسائل التّماسك النّصي. وعمليّة الجواب ليست مجرّد عمليّة آلية بسيطة تلخّص في شكل من قبيل (سؤال، جواب)، بل هي عملية معقّدة متشعّبة ينقلب فيها الجواب عن السؤال، ردّا ذا بعد مقامي تداولي أساسه التفاعل بين السائل والمجيب[1].

4.4.بنية الضّدّ:

اتّفق العلماء على أنّ «الضّدّ» أحد وسائل المناسبة والتّماسك، حيث أشاروا إليه في حديثهم عن المناسبة، والرّبط بين المعاني، وتماسك أجزاء النّص. من ذلك، فقدْ حصَر ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) المناسبة في نوعيْن اثنين هما؛ تقارب اللفظتين أو تضادُّهما، حيث يقول:" فأمّا تناسب الألفاظ من طريق المعنى فإنّها تتناسب على وجهين أحدُهما أنْ يكون معنى اللفظتين متقاربا والثاني أنْ يكون أحد المعنيين مضادّا للآخر أو قريبا من المضادّ، فأمّا إذا خرجت الألفاظ عن هذين القسمين فليست بمتناسبة"[2]. فالعلاقة بين المتناسبيْن أنواعٌ، منها علاقة الضّدُّ التي تؤدّي إلى تماسك أجزاء النّص. وقد ذكر السّيوطي أيضا أنّ من أسباب الرّبط التّقابل المبنيّ على الضدّ[3].

وهو ما رآه المحدثون ـ أيضا ـ؛ من ذلك، فقدْ بيّن جميل عبد المجيد دوْرَ عناصر البديع في سبْك النّص وحبْكه، التي من بينها علاقة الضّدّ، متمثّلةً في الطباق والمقابلة والعكس والتّبديل والجمع والتقسيم.

فالضّدّ من مظاهر التّماسك في القرآن الكريم، حيث أنّه يجمع بين المعاني، وإنْ كانت متضادّةً، "فَعَلاقة الضدّية هي التي تبيح التّماسك"[4]. فالألفاظ والمعاني تَتَفاعل داخل السّياق في تنظيم مّعقّد، وبين المعنى وضدّه علاقة، والمعنى يستدعي ضدّه ويُحقّقان للنّص معا التّماسكَ. ولعلّ الزمخشري يشير إلى هذه الفكرة، حين قارن بين الآية الأولى من سورة (المؤمنون) وهي: ﴿**قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ**﴾ والآية الأخيرة منها وهي ﴿**إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ**﴾، ليرى بينهما تناسبا، وقال: " شتان ما بين الفاتحة والخاتمة "[5]، فتماسكتْ السّورة بين بدايتها ونهايتها عن طريق «الضّدّ».

هذا وقدْ اهتمّ القرآن الكريم بعلاقة «الضّدّ» ، ووظّفها كثيرا في سوره، فكانت هذه العلاقة منتشرةً في ثناياها، من بينها سورة (الغاشية)، يقول تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4) تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)**﴾.

---

[1]. ينظر: محمد الشاوش، أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، 814/2.

[2]. ابن سنان الخفاجي، سرّ الفصاحة، ص 199.

[3]. ينظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن،58/1.

[4]. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النّصّي بين النظرية والتطبيق،147/2.

[5]. الكشاف، 45/3.

تتناول هذه الآيات (من الآية 2 إلى الآية 16) أحوالَ يوم القيامة في تفصيل الناس إلى شقيّ وسعيد، وبدأ بالشّقي لأنّ المقام لإنذار المؤثرين للحياة الدنيا[1]، ولأنَّه أدخلُ في تهويلِ الغاشيةِ وتفخيمِ حديثِها، ولأنَّ حكايةَ حسنِ حالِ أهلِ الجنةِ بعدَ سُوءِ حالِ أهلِ النارِ أكثر تأثيرا[2]. وهذا يناسب سياق السورة. وفي هذا التّفصيل قُوبِلَتْ صِفَاتُ وُجُوهِ أَهْلِ النَّارِ بِصِفَاتِ وُجُوهِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَقُوبِلَتْ صِفَات: **خاشِعَةٌ، عامِلَةٌ، ناصِبَةٌ... بِصِفَاتِ ناعِمَةٌ، راضِيَةٌ**... وَقُوبِلَ قَوْلُهُ: **تَصْلى نَارا حامِيَةً** بِقَوْلِهِ: **فِي جَنَّةٍ عالِيَةٍ**. وَقُوبِلَ: **تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ** بِقَوْلِهِ: فِيها **عَيْنٌ جارِيَةٌ**، وَقُوبِلَ شَقَاءُ عَيْشِ أَهْلِ النَّارِ بِمَقَاعِدِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْمُشْعِرَةِ بِتَرَفِ الْعَيْشِ[3]. وهو ما يظهره الجدول الآتي:

وُجُوهُ الكافرين	وُجُوهُ المؤمنين
خَاشِعَةٌ (2)	نَاعِمَةٌ (8)
عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (3)	لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9)
تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً (4)	فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيها لاغِيَةً(11)
تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (5)	فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12)
لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7)	فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)﴾

فقدْ جمعتْ سورة (الغاشية) بين هذه الثنائيات الضدّيّة، وقارنتْ بين نوعيْن مختلفيْن من الناس، وربطتْ بين المعاني والأنْساق المتضادّة، ربْطَ اتّفاق وانسجام، لتعبّر عن معنى واحد، وغاية واحدة كعادة السور القرآنيّة؛"فكلّ نسق يقف مقابل نسق آخر تضادّا وتشاكلا، لينتهي إلى التّآلف والتّكامل والتّناغم في وحدة منسجمة"[4]، ذات هدف واحد، لأنّ هذيْن النّسيقيْن المتضادّيْن المتجاوريْن بمثابة المقارنة، وهذه الأخيرة ـ أصلا ـ من وسائل التّرابط الدّلالي بين طرفين في السورة الواحدة، وفي النّص الواحد، لإظهار الفروق ومدى الهُوّة بينهما[5]، وتكون ـ بالتالي ـ جزءا هامّا من السورة، مشاركًا في تبليغ معانيها، والوصول إلى مقاصدها ومراميها. وهو هنا، أي التّضاد، أصبح مكوّنا أساسيًّا لإنتاج بنية سورة (الغاشية) ودلالتها، فهو تركيب بنائي يقوم على طرفين متنافرين على مستوى السطح، متضافريْن على مستوى العمق لإنتاج الدلالة، وإظهار حركة التّفاعلات بين الطرفين المتضادين من جهة، وباقي عناصر السورة من جهة أخرى[6]. فـ «الضّدّ» لا يمنع الربط بين المتباعِديْن، بل ينبّه إلى معاني النّص، ويزيده جمالا وتآلفا وتماسكا. فإذا كان في السورة هنا طرفان متضادان، فإنّ هناك قيمةً ثالثة تولّدتْ من الربط بين هذين الطرفين،

[1]. ينظر: برهان الدين البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، 3/22.

[2]. ينظر: تفسير أبي السعود إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، 149/9.

[3]. ينظر: التحرير والتنوير،303/30.

[4]. حسين جمعة، التقابل الجمالي في النّص القرآني (دراسة فكرية وأسلوبيّة)، ص154.

[5]. ينظر: محمد العبد، حبْك النص، منظورات من التراث العربي، ص202.

[6]. عاصم محمد أمين، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، ص60.

وانبثقت من خلالها وظائفُ جماليّة ودلاليّة، تُحَرّكُ القارئ وتؤثّر فيه، ما كان لهذه الوظائف أنْ تظهر، لو نظر إليهما هذا القارئُ، منْفردَيْن خارج السّورة، لأنّها جزء من البنية العامة لها.

5.4.التكرار:

«التكرار» " أسلوب تعبيري بلاغي له دلالاته الفنيّة وأغراضه الأسلوبيّة، وهو دلالات اللفظ على المعنى مردّدا كقولك لمن تستدعيه: أسرع أسرع، فإنّ المعنى مردّد واللفظ واحد"[1]. أو " هو إعادة ذكر لفظ أو عبارة أو جملة أو فقرة، وذلك باللفظ نفسه أو بالترادف وذلك لتحقيق أغراض كثيرة أهمّها تحقيق التماسك النصي بين عناصر النص المتباعدة"[2].

وتذكر كتب البلاغة أنّ «التكرار» غرض بلاغي ينضوي تحت علم المعاني[3]. وأنّ له مزيّة كبيرة في الخلق الشّعري وفي غيره من الفنون[4]. وقد استعمله العرب في كلامهم، وعبّروا به في نقل أفكارهم، والإفصاح عن مكنونات نفوسهم. يقول الزركشي: " وقد غلط من أنكر كونه من أساليب الفصاحة، ظنًّا أنّه لا فائدة له؛ وليس كذلك بل هو من محاسنها"[5]. ويكون «التكرار» في الحرف أوفي الكلمة، أوفي الجملة أو في الفقرة ـ كما سبق ـ بلفظه أو بمرادفه. و«للتكرار» وظائف جماليّة ودلاليّة، وله أغراض مختلفة منها: التهكّم والتهديد والتعظيم والتقرير والتوبيخ وغيرها[6]، ولعلّ أهمّها التماسك النّصّي.

هذا، وقدْ اهتمّ علماء النّصيّة بـ«التكرار» في النّصوص الأدبيّة وفي القرآن الكريم باعتباره وسيلة من وسائل التماسك النّصي.

وقد تَمثّلَ «التكرار» في سورة «الغاشية» في التركيب (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ)، حيث تصدّرتْ الكلمتان صِفَاتِ أَهْلِ النَّارِ، كما تصدّرتا صِفَاتِ أَهْلِ الجنّة، وهو ما يبيّنه الشكل الآتي:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ

خَاشِعَةٌ(2) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(4)تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ(5) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (6) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ (7)﴾

نَاعِمَةٌ (8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (9) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (10) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (11) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (12) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)﴾

[1]. محمود السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، ص9.

[2]. صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 20/2.

[3]. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة الخطيب القزويني، ص177.

[4]. محمد الواسطي، ظاهرة البديع دراسة بلاغية نقدية، ص237.

[5]. الزركشي، البرهان في علوم القرآن، 9/3.

[6]. ينظر: محود السيد شيخون، أسرار التكرار في لغة القرآن، ص21.

فتوحّدتْ ـ بالتالي ـ بدايةُ المقطعين المتضادّيْن، وتشاركا في الوجوه واليوم نفسِه، فشكّل التعبيرُ ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾ موقعا رئيسًا، وجهةً رابطة جامعةً بين المقطعين المتضادين، ومركزا يجلب الانتباه في السّورة، لأنّ «التكرار» في الأصل هو محاولة لشدّ القارئ أو السامع وجلب انتباهه حول المكرَّرِ وجمعتْ بين أهل النار وأهل الجنة في السورة، رغم البُعْد الشاسع بين الفريقيْن، وبين الوُجُوهَيْن؛ فريق معذّب، وفريق متنعِّم... وجوه خاشعة عاملة، ووجوه ناعمة راضية...فكانت المخالفة الدلاليّة الشاسعة بينهما، وكانت موجِّهةً أساسيا لهذا «التكرار»، وعنْصرا فعّالا فيه، لأنّ القارئ بعد هذا التكرار والتّشابه، يتفاجأ بهذه المخالفة الدّلاليّة. هذا التكرار في ظاهر النّص، ومعَه المخالفةُ، صَنَع ترابطا بين أجزائه بشكل واضح الترابط[1]، فـ «التكرار» ـ أصلا ـ يُوَظَّف من أجل تدعيم التّماسك النّصي، وتحقيق العلاقة المتبادلة بين عناصر النّص[2]. ويزداد الربط وضوحا في انعدام العطف بين المكرَّرَيْن ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ﴾، لتظهر الفقرتان، فقرةً واحدةً، أيْ وكأنّ الوجوه الواحدة اتّصفتْ بصفتين متناقضتين؛ **خاشعة، عاملة، ناصبة**... وفي الوقت نفسه، **ناعمة، راضية، في جنة عالية**.... رغم التّضاد والتناقض التّام.

إضافة إلى ذلك، فوُجُودُ حرف عطف في صدْر كلّ جملة ـ كما يُقال ـ قد يُثقل الكلام بوضوح، والكلام المكتوب يفضّل اللّجوء إلى مجرّد التّجاور، ومن ثم فالربط جاء من قبيل التّجاور، والترابط العام بالتّضمّن[3]. فالتّجاور بين الفقرتين المتضادّتين في السورة، وسياقُها الذي يتحدّث عن يوم القيامة، يُفسّران ذلك الرّبط دون اللّجوء إلى العطف، إذْ الرّبط يُمكن أنْ يكون دلاليًّا دون أداة بين فقْرتين أو جزأين متباعديْن في نصّ ما"[4]. ومن ثمّ كان التماسك هنا عن طريق التّجاور.

ومن جهة أخرى، فقدْ ترَك العطفَ لِدفْع شُبهة الاشتراك التّام بين الفريقين المتغايرين، واكتفى بالربط التّضمّني المقدّر الذي يدلّ عليه سياق السورة، يقول أحدُهم:" أنْ يكون لتغاير الفريقين تغايرا تامّا في جميع الأحوال: كفْر وإيمان، صلاح وفساد، ذلّ وإرهاق، وكرامة وسرور، نار حامية وجنة عالية، عين آنية وعين جارية. ولو عطف الفريق الثاني على الفريق الأول لتوهّم متوهّم اشتراكهما في شيء ... ولِدفْع هذا التّوهّم ترَك العطفَ في الظاهر، وإنْ بقي مقدّرا مَنْوِيًّا"[5]. ومنه يمكن القول أنّ "غياب الرابط كان لقوة الارتباط بين الجملتين"[6].

ولعلّ ما يُثبت ذلك اشتراك الفقرتين المتضادّتين في صيغة اسم الفاعل المؤنّث؛ **خَاشِعَةٌ، عَامِلَةٌ، نَاصِبَةٌ، حَامِيَةً، آنِيَةٍ / نَاعِمَةٌ، رَاضِيَةٌ، عَالِيَةٍ، لاغِيَةً، جَارِيَةٌ**. هذه الأسماء جميعُها تعود على (الوجوه).

---

[1]. ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص106.

[2]. ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق،21/2

[3]. أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص101.

[4]. المرجع نفسه، ص100.

[5]. عبد العظيم المطعي، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، 410/1

[6]. إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي، **1/** 164.

إضافة إلى اشتراك بعض الآيات (13،14، 15،16) في صيغة اسم المفعول؛ **مرفوعة، موضوعة، مصفوفة، مبثوثة**. وإلى الطريقة الموحّدة في بناء بعض الجمل؛ فالآيات: ﴿**إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ(17) وَإِلَى السَّماءِ كَيْفَ رُفِعَتْ(18) وَإِلَى الْجِبالِ كَيْفَ نُصِبَتْ(19) وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ (20)**﴾ مثلا، وردَتْ متوازنة لفظيّا بالتركيب نفسِه (اسم مجرور بحرف الجر إلى+ كيف + فعل ماض مبني للمجهول على وزن فُعِلَتْ + انتهاؤها بالتاء)، فتشابهتْ بداياتُ الآيات ونهاياتُها. وهو توازن لفظيّ، وهو نوع من «التكرار»، يدعّم التّماسك النّصيّ بين آيات المقطعين المتضادّين، وفي السورة كلّها التي تُشكّل كتلةً متماسكة في سورة «الغاشية»

ويظهر التركيز على المشركين، فتَقَدَّم ذِكرُهم على ذكْر أهْل الجنّة، ليبيّن أنّ أَصْحَاب الْوُجُوهِ الْخَاشِعَةِ، أي المشركين هم الْمَقْصُودون مِنَ الِاسْتِفْهَامِ فِي ﴿**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ(1)**﴾ بالْإِعْلَام بِتَهْدِيدِهِمْ، فَجَاءَتِ الآيات ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ(8) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ(9)فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ(10)لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً(11)فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ(12)فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ(13) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ(14)وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (15) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ (16)**﴾ بَعْدَهَا مَفْصُولَةً، لِأَنَّهَا جُعِلَتِ اسْتِئْنَافًا بَيَانِيًّا جَوَابًا عَنْ سُؤَالٍ مُقَدَّرٍ تُثِيرُهُ الْجُمْلَةُ السَّابِقَةُ فَيَتَسَاءَلُ السَّامِعُ: هَلْ مِنْ حَدِيثِ الْغَاشِيَةِ مَا هُوَ مُغَايِرٌ لِهَذَا الْهَوْلِ؟ أَيْ مَا هُوَ أُنْسٌ وَنَعِيمٌ لِقَوْمٍ آخَرِينَ. فهي بِمَثابة التَّتْمِيمِ، لِإِظْهَارِ الْفَرْقِ بَيْنَ حَالَيِ الْفَرِيقَيْنِ، وَلِتَعْقِيبِ النِّذَارَةِ بِالْبِشَارَةِ[1]، لأنّ سياق السّورة وهدفها العام، هو تنبيه المشركين، والتركيز عليهم، وهو ما يتناسب مع عنوانها، وأظهر الفرقَ بينهم وبين أهل الجنّة، وأتمّ فكرة السورة، وأغلق بابَ التساؤل، وكان التّماسكُ النصي شكْليًّا ودلاليًّاً.

6.4.الإحالة:

لا شكّ أنّ النّص بناءٌ متكاملٌ يتكوّن من أجزاء، وهذه الأخيرة تتكوّن من أجزاء أخرى أصغر... وهكذا؛ فقراتٌ وعبارات وجُملٌ كلّها تتشابك بروابط وإحالات تسْهم في إنتاج النّص وتماسكه وتنظيم معانيه، لتقديمها للقارئ جاهزةً واضحةً، لأنّ هذه الإحالات تربط بينها وبين ما تحيل إليه.

وتُعرّف «الإحالة» **reference** "بأنّها" العلاقة بين العبارات من جهة، وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي الذي تشير إليه العبارات"[2]. ويعرّفها جون لا ينز بقوله:" العلاقة بين الكلمات وبين الأشياء والأحداث والأفعال والصفات التي تشير إليها"[3].

والإحالة نوعان؛ أولاهما: إحالة مقاميّة، و"هي إحالة عنصر لغويّ إحالي على عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي؛ كأنْ يحيل ضمير المتكلّم المفرد على ذات صاحب المتكلم"[4]، لأنّ اللغة تعكس

[1]. ينظر: التحرير والتنوير،298/30.

[2]. روبرت دي بوجراند، النص والخطاب والإجراء، ص172.

[3]. جون لا ينز، علم الدلالة، ص43.

[4]. الأزهر الزناد، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، ص119.

الموجودات، والعنصر اللغوي في النّص قد يُحيل إلى خارج النّص. وقد عدّ السّياق من الأدوات الضمنية أي الخارجة عن النص التي تحقّق التماسك النصي، فأيّ وحدة لغويّة من النّص تشمل بيئتين؛ أحدهما خارجيّة عن النّص ـ السياق ـ ، وثانيهما اللغويّة المصاحبة للنّص[1]. **وثانيهما:** إحالة نصيّة: وهي إحالة داخل النّص، فتحيل بعض الوحدات اللغوية على وحدات أخرى سابقة عنها،أي تعود على مفسّر سبق التلفّظ به[2]، وتسمّى إحالة قبليّة. أو تحيل إلى وحدات لاحقة لها، أي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النّص ولاحق عليها[3]، وتسمّى إحالة بعديّة.

والإحالة بنوْعيْها مِن الوسائل الهامة في التّماسك النّصي،"لأنّ الغاية الأساسيّة التي توظّف من أجلها الإحالات هي الرّبط بين أواصر النص من أجل صياغته كقطعة متينة محكمة السبك والنسيج"[4]. ووسائل التّماسك الإحاليّة أنواع مختلفة منها: الضمائر وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة، وغيرها، و" تُعدّ الضمائر أكثر العناصر العائدة استعمالا في جميع اللغات...، فإنّه من الصعب أنْ تتعاقب الجمل الأولى من النص دون أن نظفر فيها بضمير عائد"[5].

ومن جهة أخرى، ـ كما هو معلوم ـ أنّ نواةَ السّورةِ في تسميتها، وفي آيتها الأولى. والآية الأولى من «الغاشية» هي قوله تعالى:﴿**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ (1)**﴾، وقد تضمّنتْ أساسيْن اتّجهتْ حولهما الضمائرُ في السّورة:

• **الأساس الأوّل**: ضمير الخطاب (**الكاف**) في التركيب (**أتاك**)، وهو المخاطَب الوحيد في السورة. والمتأمّل هذا الضمير (**الكاف**)، يحتاج إلى النظر خارج النّص القرآني أو خارج السورة لتعيين المحال إليه، لأنّه لم يحدّده، خاصة أنّ القرآن الكريم يفسّر بعضُه بعضا، وهو كالنّص الواحد. "والقرآن الكريم في استعماله للضمائر يعمد في كثير من الأحيان إلى حذف المرجع، وذلك لدلالة المقام عليه"[6]. لذلك فالمقام والمعرفة الخلفيّة للقارئ ومرجعيّته ومعلوماته التي كوّنها في رصيده كلُّها ضرورية في فهْم وتأويل النّص القرآني. وكوّنها في رصيده. فالمتلقّي ذو الكفاءة ركن أساس من أركان التحليل النّصي، يشارك في النّص، ويتمكّن من استيعابه وتفكيكه، والنّص يُعدّ حوارا قائما بين النّص وقائله ومتلقّيه[7]. ولم يُذْكرْ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سورة «الغاشية» صراحةً، إنّما المفسّرون هم مَنْ أشاروا إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وعرّفونا به، ومن ثمّ فهي إحالة خارجيّة.

---

[1]. إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي، **1/ 117**.

[2]. ينظر: أحمد عفيفي، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص117

[3]. ينظر: المرجع نفســـه، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، ص117

[4] محمد الأمين مصدق، التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف، ص37.

[5]. الشاذلي الهيشري، الضمير بنيته ودوره في الجملة، ص416.

[6].مازن موفق صديق الخيرو، بلاغة الخطاب ومرايا اللغة، ص27.

[7]. ينظر: صبحي إبراهيم الفقي، علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، 110/1.

وبعد هذا الاستفهام في الآية الأولى، شرعتْ السّورة في تفصيل حديث الغاشية، أي يوم القيامة من الآية (2) إلى غاية الآية (20)، لترجع إلى في الآيتين (21)، (22) ضمير المخاطَب، بقوله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ(21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ(22)**﴾. " أي فعِظْهم يا محمد وخوّفهم، ولا يهمنَّك أنهم لا ينظرون ولا يتفكرون"[1]. فالضمائر (أنت والتاء) في **(فذكّر، أنت، لسْتَ)** تُحيل إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ المخاطب في الآية الأولى، ما جعلها ترتبط بين الآية (1)، والآيتين **(21،22)** وما بعدهما في أواخر السورة.

إحالات خارجيّة

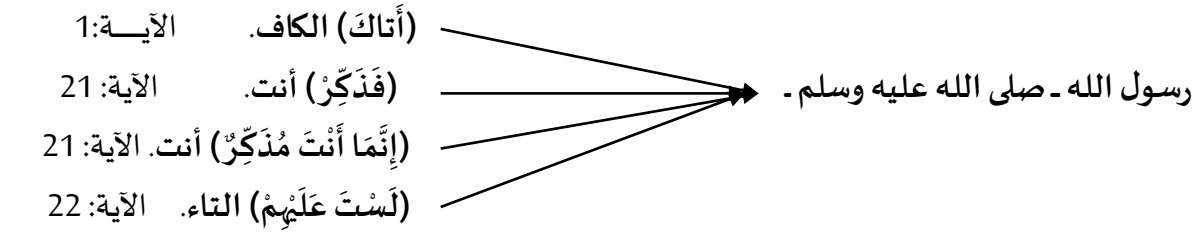

• **الأساس الثاني:** كلمة «الغاشية»، وهو عنوانُ السورة، وموضوعُها الواحد الذي بُنِيَتْ عليه من بدايتها إلى نهايتها. بعد الاستفهام عن حديث الغاشية، شرعتْ السّورةُ في الإجابة والتفصيل في «الغاشية» في قوله تعالى: ﴿ **وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ(2)عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ(3) تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً(4)...**﴾،"وَقَدْ عُلِمَ مِنْ سِيَاقِ تَوْجِيهِ الْخِطَابِ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ الْوُجُوهَ الْأُولَى وُجُوهُ الْمُكَذِّبِينَ بِالرَّسُولِ، وَالْوُجُوهَ الْمَذْكُورَةَ بَعْدَهَا وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُصَدِّقِينَ بِمَا جَاءَ بِهِ"[2]. وبدأ الحديث عن حالِ أهلِ النار، لأنَّه أدخلُ في تهويلِ الغاشيةِ وتفخيمِ حديثِها[3]. ومن ثمّ مناسبة سياق السورة المبنيّة عليهم. فكانت الإحالات الداخليّة البعديّة، عن طريق الضمير (هم)، وهو ما يبيّنه الشكل الآتي:

إحالات داخليّة بَعْديّة

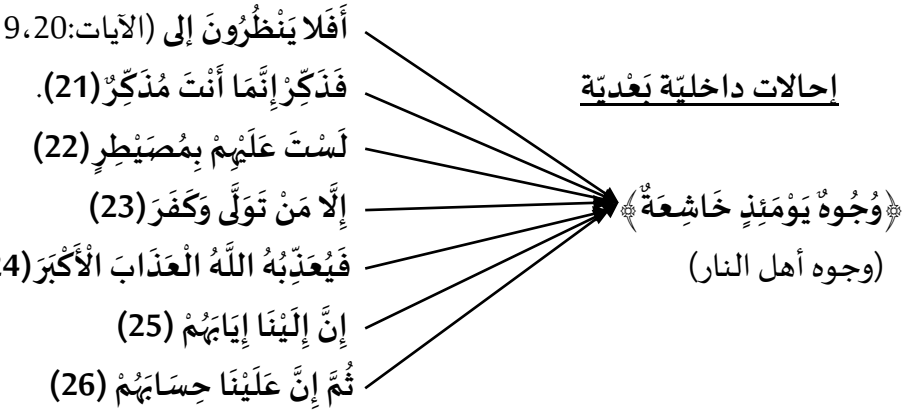

ومن جهة أخرى، وبناء على الإحالة، يمكن أنْ نُقسّم السّورة إلى ثلاثة أقسام، وهو تقسيم يخالف السابق:

---

[1]. محمد علي الصابوني، صفوة التفاسير، 3/ 526.

[2]. التحرير والتنوير ،30/ 298.

[3]. ينظر: تفسير أبي السعود،9/ 149.

• **القسم الأول:** (الآية الأولى): مخاطبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ واستفهامه عن حديث الغاشية.

• **القسم الثاني:** (من الآية 02 إلى الآية 20). وقدْ تضمّنَ حديثًا عن الغاشية، وحال المشركين والمؤمنين فيها، وعدم اعتبار المشركين بالمشاهد المعجزة في الكون.

• **القسم الثالث:** (من الآية 21 إلى نهاية السورة). وفيه مخاطبة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، بأنْ يُذكِّر المشركين فقط دون السيطرة عليهم، ومنْ كفَر، فسيتولّى الله تعذيبه يوم القيامة. وهو ما يبيّنه الشكل الآتي:

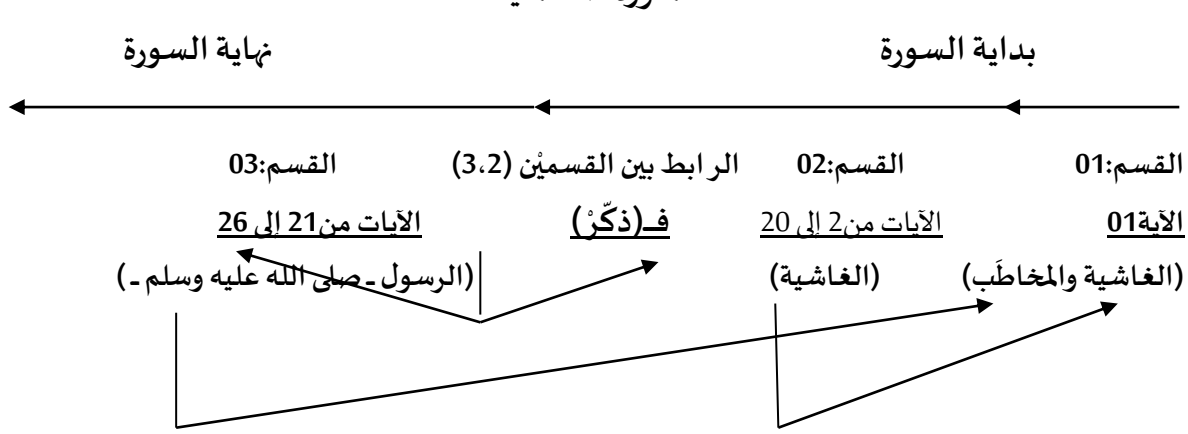

نلاحظ في هذا الشّكل:

• أنّ سورة «الغاشية» منقسمة إلى ثلاثة أقسام، هي: الغاشية والمخاطَب/ الغاشية/المخاطب.

• القسم الأول، أي الآية الأولى هي نواة سورة «الغاشية»، جمعتْ بين قسميْها؛ الغاشية والمخاطَب.

• الرابط بين القسمين؛ الثاني والثالث، هو (الفاء) في التركيب ﴿**فَذَكِّرْ**﴾، فـ "الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، أي فعِظْهم يا محمد وخوّفْهم"[1]،أي ربطتْ الآيات: (من 21 إلى 26)، بمَا قبلها من الآيات: (من2 إلى 20)؛"فالْفَاءُ فَصِيحَةُ تَفْرِيعٍ عَلَى مُحَصَّلِ مَا سَبَقَ مِنْ أَوَّلِ السُّورَةِ الَّذِي هُوَ التَّذْكِيرُ بِالْغَاشِيَةِ وَمَا اتَّصَلَ بِهِ مِنْ ذِكْرِ إِعْرَاضِهِمْ وَإِنْذَارِهِمْ، رَتَّبَ عَلَى ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالدَّوَامِ عَلَى تَذْكِيرِهِمْ"[2]. فمن الحديث عن الغاشية، انتقل إلى مخاطبة الرّسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

• الضمائر في آيات القسم الثالث (أَنْتَ في التركيب «**فذكّرْ**»/ الضمير المنفصل «**أنت**»/ «**التاء**» في التركيب «**لسْتَ**»)، وكلّها ضمائر تعود على الضمير **الكاف** في التركيب **(أتاك)**، **وهو** إحالة خارجيّة إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ

[1]. أبو الطيب الحسيني، فتح البيان في مقاصد القرآن، 15/ 208.

[2]. التحرير والتنوير، 30/ 306.

• الضمائر أكثر الإحالات في السورة، وقد كانت إحالات خارجيّة، وإحالات داخليّة بعديّة.

ومنه فقدْ كان للضّمائر أهميّة كبيرة في الإحالة في سورة «الغاشية»، ودورٌ في الرّبط بين عناصرها وأقسامها وتماسكها، والربط بين بدايتها ونهايتها. وتكمن أهميّتها بكونها تنوب عن كلمة أو عبارة أو جملة أو عدّة جُمل، وكونها تربط بين أجزاء النص المختلفة؛ شكلا ودلالة، وداخليّا وخارجيّا، وسابقة ولاحقة[1].

5. الخاتمة:

تطرّقنا في هذا البحث إلى تحليل سورة «الغاشية» تحليلا نصيًّا، من خلال محاولة تبيين آليات التماسك النّصي فيها، وتبيين دلالتها الكاملة. ومنه جاءت نتائج البحث كالآتي:

• التّماسك النّصي هو وحدة النّص وتنظيمه وعلاقة أجزائِه بعضها ببعض، مشكّلا شبكةَ علاقاتٍ تَربط أجزاءَه، وتُسهم في وضوحه. والتّماسك النّصّي موضوعُ (لسانيات النص)، الفرع المبنيّ على الطبيعة النّصيّة للممارسات الكلاميّة، لذلك فالعلاقة وثيقة بين التّماسك النّصي ولسانيات النّص.

• (لسانيات النّص) علمٌ حديث، له جذور في التّراث العربي، من خلال نظرات العلماء بمختلف توجّهاتهم؛ لغويين ونحْويين وبلاغيين ونقّادا وغيرهم، في مجال الدّراسات النّصيّة، ووعْيهم بفكْرة تماسك النّص.

• للعرب في التراث العربي، في مجال تفسير القرآن الكريم، وعلومه وإعجازه وبلاغته، مجهوات جادّة تصبّ في صميم الدّراسة النّصيّة الحديثة، من خلال تفطُّن العلماء والمفسّرين أمثال الزمخشري، وفخر الدين الرازي، والسيوطي وغيرهم إلى وسائل الربط بين أجزاء الكلام، وإلى العلاقات التي جعلت النّص القرآني؛ آياتٍ وسورًا، كلّا واحدا موحّدا. من خلال حديثهم عن العطف والضمائر والإشارة والتكرار، وموضوع الخطاب وتنظيمه وترتيبه، والعلاقات كالتفسير والبيان، والإجمال والتّفصيل وغيرها... وأهمّها مبحث المناسبة الذي له علاقة وثيقة بالتّماسك النّصي.

• اتّسمت سورة «الغاشية» بالتّماسك النّصي بآليات مختلفة، حيث ظهرت كأنّها شبكة من العلاقات المتداخلة بين مفردات آياتِها وتراكيبها، وأجزائها وأقسامها، وكتلةً واحدة ذات غاية واحدة. وقد تمثّلت هذه الآليات في:

۞ عنوانها «الغاشية» الذي عبّر عن موضوع السّورة كاملةً، وعكَسه من بدايتها إلى نهايتها، وهو يوم القيامة وأحوال الناس فيه؛ كفارًا، ومؤمنين، بعد أنْ يجْمعهم الله فيه ويُحاسبهم. فتميّزتْ السورة بالوحدة المعنويّة، ومن ثمّ، فـعُنوانُ «الغاشية» هو السّورة كلّها، والسّورةُ هي «الغاشية»، فكان موضوعُها واحدًا ولم تتعدّ إلى غيره.

[1]. ينظر: إبراهيم صبحي الفقي، علم اللغة النصي،1/ 137.

❁ الآية الأولى منها: ﴿**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ (1)**﴾ التي كانت نواةَ السّورةِ، والتي خاطبتْ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ، وشكّلتْ استفهاما عن «الغاشية»، أدّى دورا في كيفيّة جذْب القارئ نحو النتيجة، وهو ما يُعتبر إجمالا، وكانتْ الإجابةُ عنه بتفصيل «الغاشية»، في السّورة كلّها، وكان المخاطَب واحدًا إلى غاية نهايتها، فتميّزتْ بوحدة المخاطَب. وبعلاقةِ «الإجمال والتفصيل».

❁ البنية الضدّية، التي اعتمدتْ عليها سورة «الغاشية»، وهي بنية تربط بين المعاني المتضادّة، لتنتهي إلى الاتّفاق والانسجام والتّكامل، الذي يُعبّر عن معنى واحد في البنية العامة، ويتحقّق التّرابط الدّلالي، وتُنبّه إلى معاني السورة، لتصل في الأخير إلى غايتها الواحدة، بعد هذه المقارنة بين النّسقين المتضادّيْن.

❁ التكرار الذي كان جليّا بين المقطعين المتضادّيْن الهامّيْن، إضافة إلى التّوازن اللفظي، والذي كان له الدور الكبير في تماسك أجزاء سورة «الغاشية». وقد تجلّى التكرار من خلال:

• التركيب ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ**﴾ الذي كان رابطا جامعًا بين فريقيْ؛ أهل النار وأهل الجنة، رغم البُعْد الشاسع بين الفريقيْن، وصَنَع ترابطا بين أجزائها، وساهم في التّماسك النّصي فيها. وكان عنْصرا فعّالا فيها، وذا موقع رئيس، ومركزَ جلْبِ الانتباهِ حوله، خاصة أنّ العطف بين المكرَّر ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ**﴾ منعدمٌ، وغياب الرابط كان لقوة الارتباط بين الجملتين، رغم المخالفة الدلاليّة.

• التوازن اللفظي، المتمثّل في وجودِ صيغِ بعضِ المشتقات، مثل: اسم الفاعل، واسم المفعول، وفي الطريقة الموحّدة في بناء بعض الآيات، بالتركيب نفسِه... وكلّها أنواع من «التكرار»، دعّمتْ التّماسك النّصيّ السابق، وشكّلتْ كتلةً مترابطة في سورة «الغاشية».

❁ الإحالة التي وظّفتْها السّورة للرّبط بين عناصرها وأقسامها، من أجْل أنْ يكون نصُّها محْكمَ النّسيج، وتُحقّق غايتَها، فأدّتْ دورا كبيرا في تماسكها. وأكثر الإحالات في السّورة، كانتْ الضّمائر، منها الإحالاتُ الخارجيّة، مثل الضميريْن المستتر والمنفصل «أَنْتَ»، والضمير «التّاء» في قوله تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ (21) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (22)**﴾... وهي ضمائر تحيل إلى «الكاف» في الآية الأولى ﴿**هَلْ أَتاكَ حَدِيثُ الْغاشِيَةِ(1)**﴾ الذي يُحيل إليه ـ صلى الله عليه وسلم ـ . والإحالاتُ الداخليّةُ البعْديّةُ، مثل: الضمير (هم)، الذي أحال إلى (الغاشية والوجوه)، وربط آيات السّورة كاملةً من بدايتها إلى آخر آية فيها.

6. قائمة المراجع:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

• **المؤلفات:**

• الإبراهيمي، خولة طالب، (2006)، مبادئ في اللسانيات، الجزائر، دار القصبة للنشر.

• ابن المنظور، محمد بن مكرم جمال الدين، (1414ه)، لسان العرب، بيروت، دار صادر.

• ابن عاشور، محمد الطاهر، (1984)، التحرير والتنوير، تونس، الدار التونسية للنشر.

• ابن فارس، أحمد، (1979م)، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام هارون، دون بلد، دار الفكر.

• ابن مصطفى، أبو الفداء إسماعيل، (د ت)، روح البيان، بيروت، لبنان، دار الفكر.
• أبو السعود، (دت)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، بيروت، دار إحياء التراث العربي.
• أبو زيد، أحمد، (1992)، التناسب البياني في القرآن دراسة في النظم المعنوي والصوتي، الدار البيضاء، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة.
• بوجراند، روبرت دي، (1998)، النص والخطاب والإجراء، تر: تمام حسان، القاهرة، عالم الكتب.
• بوقرة، نعمان، (2013) دراسات في علم اللغة النصي، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن.
• الجرجاني، عبد القاهر، (2001)، دلائل الإعجاز، تح: ع الحميد هنداوي، بيروت، دار الكتب العلمية.
• جمعة حسين (2005) التقابل الجمالي في النّص القرآني (دراسة فكرية وأسلوبيّة)، دمشق، منشورات دار النمير.
• الحسيني، أبو الطيب محمد صديق (1412هـ ،1992م)، فتح البيان في مقاصد القرآن، صيدا، بيروت، لبنان، المَكتبة العصريَّة.
• حماسة، محمد عبد اللطيف، (2003)، بناء الجملة العربية، القاهرة، مصر، دار غريب.
• حمداوي، جميل، (2015)، محاضرات في لسانيات النص، (دون بلد)، شبكة الألوكة.
• الخطابي، محمد، (2006)، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، الدار البيضاء، بيروت، المركز الثقافي العربي.
• الخفاجي، ابن سنان، (1982)، سرّ الفصاحة، (دون بلد)، دار الكتب العلمية.
• الخيرو، مازن موفق، (2015)، بلاغة الخطاب ومرايا اللغة، إربد، الأردن، عالم الكتب الحديث.
• دراز، عبد الله، (1984)، النبأ العظيم، الكويت، دار القلم.
• الزركشي،بدر الدين،(1957م)،البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية.
• الزمخشري، جار الله، (1407)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، بيروت، دار الكتاب العربي.
• الزمخشري، جار الله، (1998م)، أساس البلاغة، تح: محمد باسل، بيروت، دار الكتب العلمية.
• الزناد، الأزهر (1993)، نسيج النص بحث فيما يكون به الملفوظ نصا، بيروت، المركز الثقافي العربي.
• السيوطي، جلال الدين، (1988م)، معترك الأقران في إعجاز القرآن، بيروت، دار الكتب العلمية.
• الشاوش، محمد(2001) أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، تونس، جامعة منوبة، المؤسسة العربية.
• الصابوني، محمد علي، (1417 هـ-1997م)، صفوة التفاسير، القاهرة، دار الصابوني.
• الصبيحي، محمد الأخضر، (د ت)، مدخل إلى علم النص ومجالات تطبيقه، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
• صحراوي، مسعود(2005)، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية، بيروت، دار الطليعة.
• عبد الباسط، محمد، (2009)، النص والخطاب قراءة في علوم القرآن، القاهرة، مكتبة الآداب.
• عبد الكريم، أشرف عبد البديع، (2008)، الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن، القاهرة، مكتبة الآداب.
• عفيفي، أحمد، (2001)، نحو النص اتجاه جديد في الدرس النحوي، القاهرة، مكتبة زهراء الشرق.
• فضل، صلاح (1992)، بلاغة الخطاب وعلم النص، الكويت، عالم المعرفة رقم:164، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.
• الفقي، صبحي إبراهيم، (2000)، علم اللغة النصي بين النص النظرية والتطبيق دراسة تطبيقية على السور المكية،

القاهرة، دار قباء.
• الفيروز آبادي، مجد الدين محمد، (1426-2005)، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة.
• القرعان، فايز عارف، (2004)، دراسة أسلوبية في النص القرآني، إربد، عالم الكتب الحديث.
• قطب، محمد، (2004)، دراسات قرآنية، القاهرة، دار الشروق.
• لاينز، جون، (1980)، علم الدلالة، تر: عبد المجيد الماشطة، وحليم فالح، البصرة، جامعة البصرة.
• محمد أمين، عاصم بني عامر، (2005)، لغة التضاد في شعر أمل دنقل، عمان، الأردن، دار صفاء.
• محمد، عزة شبل، (2009)، علم لغة النص (بين النظرية والتطبيق)، القاهرة، مكتبة الآداب.
• مسلم، مصطفى، (2005)، مباحث في التفسير الموضوعي، دمشق، دار القلم.
• مصطفى، إبراهيم وآخرون، (د ت)، المعجم الوسيط، القاهرة، دار الدعوة.
• المطعي، عبد العظيم، (1992)، خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية، القاهرة، مكتبة وهبة.
• هنداوي، عبد الله(1995)، مطابقة الجواب للسؤال في النظم القرآني، شبرا، مصر، مطبعة الأمانة.
• الهيشري، الشاذلي، (2003)، الضمير بنيته ودوره في الجملة، تونس، جامعة منوبة، منشورات كلية الآداب.

- **الأطروحات:**

• مصدق، محمد الأمين، (2005/2004)، التماسك النصي من خلال الإحالة والحذف دراسة تطبيقية في سورة البقرة، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغة والأدب العربي والفنون، جامعة باتنة، الجزائر.

- **المقالات:**

• مسعودي، الحواس، (ديسمبر 1997)، البنية الحجاجيّة في القرآن الكريم سورة النمل نموذجا، مجلة اللغة والأدب، معهد اللغة العربية جامعة الجزائر، العدد: 12. ص 328
• المطوي، محمد الهادي، (سبتمبر 1999)، شعرية عنوان (الساق على الساق فيما هو الفارياق)، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، مجلد: 28، ع:01، ص455.
• العبد، محمد، (رجب، رمضان 1422هـ) (أكتوبر، ديسمبر 2001)، حبْك النص، منظورات من التراث العربي، الرياض، مجلة الدّراسات اللغوية، مجلد: 3، العدد:3، ص.202

Bibliography List

•The Holy Quran narrated by Hafs.

1. Books

• Al-Ibrahimi, Khawla Talib,(2006),Principles in Linguistics ,Algeria ,Al-Qasba Publishing House.
• Ibn Manthour, Mohammed bin Makram Jamal –Eddinne ,(1414 AH) Arabes Tong ,(Lisan al – Arab), Beirut, Dar Sader.
• Ibn Ashour, Màhammed Al-Taher,(1984), Editing and Enlightenment (Ettahrir and Ettanwir), Tunisia , Tunisian Publishing House.
• Ibn Faris, Ahmed,(1979),Dictionary of Language Standards,ed.:Abdel Salam Haroun, Without a Country, Dar Al-Fikr.
• Ibn Mustafa, Abu Al-Fida Ismail,(without date),Ruh Al-Bayan ,Beirut,Lebanon, Dar Al-Fikr.

• Abou esseoud ,(without date) ,Guiding the Sound Mind to the Advantages of the Holy Book (Tafssir abi esseoud) , Beirut , Dar Revival of Arab Heritage.
• Abou Zaid, Ahmed, (1992), Graphical Proportion in the Qur'an, A Study in Moral and Phonological Systems, Casablanca, Publications of the Faculty of Arts and Human Sciences in Rabat, Al-Najah New Press.
• Beaugrand, Robert De. (1998), Text, Discourse, and Procedure, translation: Tammam Hassan, Cairo, Alam al-Kutub.
• Bougherra , Noman, (2013) Studies in Textual Linguistics, Princess Nourah Bint Abderrahman University.
• Al-Jourjani, Abdel Qaher, (2001), Evidence of Miracles(Dalaiel elijez), ed : A. Al-Hamid Hindawi , Beirut , Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
• Joumaa Houcin (2005) The antithesis §§§ Aesthetic Contrast in the Qur'anic Text (An Intellectual and Stylistic Study), Damascus, Dar Al-Numair Publications.
• El-Housseini, Abou al-Tayyieb Mohammed Siddiq (1412 AH, 1992 AD), Fath el-Bayan fi Maquassed al-Qur'an, Saida, Beirut, Lebanon, Modern Library.
• Hamasa, Mohammed Abdel Latif, (2003), Arabic Syntax, Cairo, Egypt, Dar Gharib.
• Hamdawi, Jamil, (2015), Lectures on Text Linguistics, (Without a Country), Al alouka Network.
• Al-Khattabi, Mohammed, (2006), Text Linguistics: An Introduction to Discourse Harmony, Casablanca, Beirut, Arab Cultural Center.
• Al-Khafaji, Ibn Sinan, (1982), The Secret of Eloquence (Sir Al fassaha), (Without a Country), Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah.
• Al-Khairo, Mazen Muwafaq, (2015), Rhetoric of Discourse and Mirrors of Language, Irbid, Jordan, Modern World of Books.
• Daraz, Abdellah, (1984), The Great News, Kuwait, Dar Al-Qalam.
• Al-Zarkachi, Badr Eddine, (1957), El-Bourhan fi Ouloum el-Qur'an, ed: Mohammed Abou al-Fadl, Cairo, Dar Ihya El-Koutoub el-Arabi.
• Al-Zamakhshari, Jar Allah, (1407), Al-Kashfah fi Haquaiqu Ghawamsh Ettanzil, Beirut, Dar Al-Kitab El-Arabi.
• Al-Zamakhshari, Jar Allah, (1998), The Basis of Rhetoric, ed.: Mohammed Basil, Beirut, Dar El-Koutoub El-elmiyya.
• Al-Zanad, Al-Azhar (1993), The Texture of the Text: A Study of What is Spoken as Text, Beirut, Arab Cultural Center.
• Al-Souyouti, Jalal Edinne, (1988), The Battle of Peers in the Miracle of the Qur'an, Beirut, Dar al-Koutoub El-elmiyya.
• Al-Shawish, Mohammed (2001) The origins of discourse analysis in Arabic grammatical theory
, Tunisia, Manouba University, Arab Foundation.
• Al-Sabouni, Mohammed Ali, (1417-1997), Safwat al-Tafsir, Cairo, Dar Al-Sabouni.
• Al-Subaihi, Màhammed Al-Akhdar(without date), Introduction to Textual Science and Its Application Fields, Arab House of Science Publishers, Difference Publications.
• Sahrawi, Messaoud (2005), Pragmatics among Arab Scholars, a pragmatic study of the phenomenon of speech acts, Beirut, Dar Al-Taliaa.
• Abdel Basset, Mohammed, (2009), Text and Discourse, Reading in the Sciences of the Qur'an, Cairo, Library of Arts.

• Abdel Karim, Ashraf Abdel Badie, (2008), The Textual Grammatical Lesson in the Books of the Miracles of the Qur'an, Cairo, Library of Arts.
• Afifi, Ahmed, (2001), Grammar of the text: a new direction in the grammar lesson, Cairo, Zahraa Al-Sharq Library.
• Fadl, Salah (1992) Rhetoric of discourse and text science , Kuwait, World of Knowledge No. 164, National Council for Culture, Arts and Letters.
• Al-Fiqi, Sobhi Ibrahim, (2000), Textual Linguistics between Text Theory and Practice, An Applied Study on Meccan Surahs, Cairo, Dar Quba.
• Al-Fayrouzabadi, Majd Eddine Mohammed, (1426-2005), Ocean dictionary, (Al-Qamoos Al-Muhit), Beirut, Al-Resala Foundation.
• Al-Qur'an, Fayez Aref, (2004), a stylistic study in the Qur'anic text, Irbid, Modern World of Books.
• Quotb, Mohammed, (2004), Qur'anic Studies, Cairo, Dar Al-Shorouk.
• Lynez, John, (1980), Semantics, translated by: AbdEl MajId Al-Mashatta, and Halim Falih, Basra, University of Basra.
• Mohammed Amin, Asim Bani Amer, (2005), The language of opposition in the poetry of Amal Dunqul , Amman, Jordan, Dar Safaa.
• Mohammed, Azza Shibl, (2009), Text Linguistics (Between Theory and Practice), Cairo, Library of Arts.
• Muslim, Mustafa, (2005),Investigations in Objective Interpretation, Damascus, Dar Al-Qalam.
• Mustafa, Ibrahim and others, (W date), Mediator dictionary (Al-Mu'jam Al-Wasit),Cairo, Dar Al-Da'wa.
• Al-Moutei, Abdel-Athim, (1992), Characteristics of Quranic expression and its rhetorical features , Cairo, Wahba Library.
• Hindawi, Abdallah (1995), Matching the answer to the question in Quranic systems, Shubra, Egypt, Al-Amana Press.
• Al-Hishari, Al-Shathly, (2003), The Pronoun, Its Structure and Role in the Sentence, Tunisia, Manouba University, Faculty of Arts Publications.

2. Theses:

• Mohammed Al-Amin Musaddiq, (2004/2005), Textual Cohesion through Reference and Deletion, An Applied Study in Surat Al-Baqarah, a thesis submitted for a master's degree, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Arabic Language, Literature and Arts, University of Batna, Algeria.

3. Articles:

• Masoudi, Al-Hawas, (December 1997), the argumentative structure in the Holy Qur'an, Surah An-Naml, is an example, Journal of Language and Literature, Arabic Language Institute, University of Algiers, Issue: 12, p. 328.
• Al-Matwi, Mohammed Al-Hadi, (September 1999), Poetry title (Leg over Leg, What is Al-Faryak) , Alam Al-Fikr Magazine, National Council for Culture, Arts and Literature, Kuwait, Volume: 28, Issue: 01, p.455.
• Al-Abed, Mohammed, (Rajab, Ramadan 1422) (October, December 2001), Text coherence, Perspectives from the Arab Heritage, Riyadh, Journal of Linguistic Studies, Volume: 3, Issue: 3, p. 202.